كلية : الآداب جامعة الأنبار

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : د. احمد عبدالعزيز

اسم المادة بالغة العربية : النثر العربي الحديث

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Modern Arabic prose

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: المقالة الحديثة

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية : Modern Article

محتوى المحاضرة الأولى

المقالة

المقالـة : جنس أدبـي حـديث عرفتـه الآداب الأوربيـة فـي أواخـر القرن السـادس عشـر . ويعـد الكاتـب الفرنسـي مونتين (١٥٣٣ – ١٥٩٢ م) والكاتب الانكليزي بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٦ م) رائدي المقالة الحديثة في الآداب الأوربية . وكان للصحافة دور كبير في نهضة وانتشار هذا الجنس الأدبي في العصر الحديث .

ان المقالة (قطعة نثرية محدودة في الطول أو الموضوع . تكتب بطريقة عفوية سريعة ، خالية من الكلفة والرهق . وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب ..)

ومن خصائصها التي يمكن استنتاجها من هذا التعريف الطول المعتدل والتشويق وبروز الطابع الذاتي فيها ، والطابع العفوي الذي يبعدها عن التكلف والمنهجية .

ظهرت المقالة في أدبنا الحديث في القرن التاسع عشر نتيجة لاتصالنا بالغرب واطلاعنا على آدابه حيث تشكل المقالة جنسا أدبيا مستقلا ومهما ، يقف إلى جانب الأجناس الأدبية الأخرى ، ونتيجة لانتشار الصحف والمجلات في الوطن العربي .

إن تاريخ المقالة في أدبنا الحديث يرتبط بتأريخ الصحافة ، فالمقالة لم تظهر في أدبنا جنسا أدبيا مستقلا شأنه في فرنسا وانكلترا ، بل نشأت في حضن الصحافة، وخدمت أغراضها المختلفة وحملت إلى قرائها آراء محرريها وكتابها .

أما الأدب العربي القديم فقد عرف فنا أدبيا يشبه المقالة الحديثة ، وهو فن الرسائل ، ولا سيما الرسائل العلمية والإخوانية، فالرسائل العلمية التي تتناول موضوعا واحدا بشيء من الإيجاز ، ومن وجهة نظر كاتبها ، فيها بعض خصائص المقالة الحديثة في الأسلوب والموضوع مثل رسائل الجاحظ في العشق واللصوص والنخيل ... الخ ، ومثلها الرسائل الإخوانية التي تدور على المسامرات والمناظرات والأوصاف . وكان من الممكن أن تتطور هذه الرسائل وتكون بواكير المقالة العربية الحديثة ، لولا ما طرأ على النثر العربي خلال القرن الرابع الهجري والقرون

التي تلت ، من ميل إلى الصنعة والتكلف والمحسنات والزخارف اللفظية التي أساءت أكبر إساءة إلى النثر العربي ، وأعاقت نمو وتطور موضوعاته وفنونه .

تأريخ المقالة العربية الحديثة وخصائصها :

ظهرت بواكير المقالة العربية الحديثة في مصر قبل غيرها من الأقطار وذلك لسبقها في النهضة وتأسيس الصحف والمجلات .

وعلى العموم مرت المقالات التي شهدتها الصحف المصرية بأربعة أطوار هي :

* **الطور الأول** : ويشمل مقالات الصحف الأولى وهي الصحف الرسمية التي أصدرتها الدولة أو أعانت على إصدارها حتى قيام الثورة العرابية .

كانت المقالة في هذا الطور ، لكونها تمثل المحاولات الأولى في هذا الجنس الأدبي بدائية وفجّة فكان أسلوبها أقرب إلى أسلوب النثر في عصر تدهور الثقافة والأدب العربي م حيث الاهتمام بالسجع والمحسنات البديعية والزخارف المتكلفة ، أما موضوعها الرئيس فيتمثل في الشؤون السياسية إلى جانب الشؤون الاجتماعية والتعليمية .

* **الطور الثاني** : وهو الطور الذي شهد صحفا جديدة غير مرتبطة بالدولة أسس معظمها المهاجرون السوريون مثل (الأهرام) و(مصر) وغيرها .

وامتازت مقالاتهم بالتحرر – إلى حد كبير – من قيود السجع في الأسلوب . أما فيما يتعلق بالموضوع ، فقد غلبت عليها الموضوعات الوطنية الاجتماعية المتأثرة بروح التحرر والاصلاح .

* **الطور الثالث** : وهو الطور الذي شهد مقالات صحف المدرسة الصحفية الحديثة التي أسستها الأحزاب السياسية التي شهدتها مصر في عهد الاحتلال .

لقد اتجهت مقالات هذا الطور اتجاهات مختلفة ، منها ما هو سياسي ومنه ما هو علمي وتربوي . أما الأسلوب فقد تخلّص كليا من قيود الصنعة والسجع ، وأصبح حرا وبسيطا يعنى أساسا بالأفكار والمعاني .

* **الطور الرابع** : وهو الطور الذي بدأ مع قيام الحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث أثّرت تأثيرا كبيرا في الحياة المصرية . وفي الشخصية المصرية وأهما ثورة ١٩١٩ م . ولعل اهم الصحف التي ظهرت في هذا الطور وأثرت في تطور المقالة ، جريدة (السفور) و (السياسة) و (كوكب الشرق) و (المصري) وغيرها . وأشهر من حرر فيها طه حسين ومحمد حسنين هيكل وإبراهيم المازني وعباس محمود العقاد .

امتازت المقالة في هذا الطور بالتركيز والدقة العلمية والميل إلى بث وإشاعة الثقافة العامة ، وأسلوبها هو الأسلوب الحديث الذي اشتهر به هؤلاء الكتاب العمالقة الذين هم أقطاب الأدب الحديث .

وفي الوقت ذاته ، أصبح للمجلات ، ولا سيما المجلات الأدبية ، دور مهم في تطوير المقالة وتوسيع آفاقها ، إذ شهدت مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر مجلات عنيت عناية كبيرة بالمقالة مثل (المقتطف) حين تولى تحريرها فؤاد صرّوف ، و (الهلال) و (السياسة الأسبوعية) ، و (البلاغ الأسبوعي) و (الرسالة) لأحمد حسن الزيات الصادرة في عام ١٩٣٣ م و (الثقافة) و (الكاتب المصري) و (الكتاب) ... الخ .

لقد احتضنت هذه المجلات أنواع المقالة من ذاتية وموضوعية ،وخلقت طبقة من الكتاب الذين عنوا بفن المقالة وجعلوها الوسيلة الأولى لنقل أفكارهم وإذاعة آرائهم .

وفي لبنان ظهرت المقالة نتيجة لظهور عدد كبير من الصحف الأهلية فيه . قام بتحريرها طائفة من الكتاب الرواد . وطائفة أخرى ظهروا بعد إعلان الدستور العثماني حيث تطورت الحركة الصحفية . وامتازت هذه الطائفة بازدياد حظها من الثقافة والحرية لذا تطورت المقالة الصحفية بفضلهم تطورا كبيرا .

وأما الطائفة الثالثة فبرزوا بعد الحرب العالمية الأولى في عهد الاحتلال الفرنسي ، بين مؤازر ومعارض ومحايد .

أما في العراق فقد مرت المقالة في تطورها بثلاث مراحل هي :

١- مرحلة العهد العثماني : شهدت هذه المرحلة بعض الرسائل الساذجة والبعيدة عن الشؤون والمشكلات الحياتية المهمة ، وأسلوبها هو الأسلوب المسجوع والحافل بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية . ولعل هذا يعود إلى عزلة العراق عن العالم وتخلفه الثقافي وتأخر ظهور الصحافة فيه .

لكن الحال تغير في أعقاب إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م حيث تطلق الحريات فترة من الزمن وتنشأ صحف ومجلات متنوعة ، مما يؤدي إلى تطور المقالة نحو البساطة في الأسلوب ونبذ الأسلوب المتكلف والتعبير عن موضوعات سياسية واجتماعية تتعلق بأغلبية الناس مثل الدعوة إلى الحرية ووصف مساوئ الاستبداد والدعوة إلى مكارم الأخلاق واستقلال العرب .

٢- مرحلة عهد الاحتلال البريطاني حيث كثر كتاب المقالة في هذه المرحلة بالسهولة في الألفاظ والوضوح في الأفكار ، ومن حيث الموضوع غلب عليها وصف العلاقات بين العرب والأتراك والعلاقات بين العرب والانكليز ، والإشادة بالانكليز بوصفهم منقذين العراق من الظلم العثماني .

٣- عهد الحكم الوطني الذي يبدأ في عام ١٩٢١ م حيث نزعت المقالة إلى إلى مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية وأهمها السعي إلى توعية الشعب وتوجيهه إلى حب الاستقلال والحرية والعمل . ولهذا مالت المقالة من حيث الأسلوب إلى السهولة والألفاظ السلسة ليفهمها الجميع . ومن أهم كتاب المقالة في العراق في هذه المرحلة طه الراوي ، ومحمد مهدي البصير ، ومحمد رضا الشبيبي ، وفهمي المدرس ، وابراهيم صالح شكر وغيرهم .

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ – ١٩٢٤ م)

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي في بلدة منفلوط التابعة لمحافظة أسيوط سنة ١٨٧٦ م لأسرة ليست غنية ، ولكنها معروفة بالحسب والشرف . تلقى تعليمه في الكتاتيب ثم التحق بالأزهر ليتم تعليمه فيه ، فظل فيه عشر سنوات ، والتقى بالشيخ محمد عبدة وهو يدرس تفسير القرآن وكتب عبد القاهر الجرجاني في البلاغة والاعجاز ، فأعجب به ولزم دروسه وانصرف عن الأزهر وعلومه وشيوخه .

مال المنفلوطي إلى قراءة الأدب ن فقرأ لابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان والآمدي والباقلاني ودواوين الشعراء العباسيين وكتابات محمد عبدة وآثار معاصريه المترجمة والمؤلفة ، حتى كوّن له ثقافة أدبية ممتازة وأسلوبا أدبيا عاليا .

وحين يموت محمد عبدة ، يحزن المنفلوطي ويأسف أسفا شديدا ويرجع إلى بلدته منفلوط ، وهناك يبدأ بتحرير المقالات ويبعثها إلى جريدة (المؤيد) للشيخ علي يوسف .

يعود بعد عامين إلى القاهرة ويتصل بسعد زغلول الذي يختاره محررا للغة العربية في وزارة المعارف حين يتولى أمرها ، حتى لا تكون في منشورات الوزارة ورسائلها أخطاء لغية ونحوية ، ثم ينقل سعد زغلول إلى وزارة العدل فينتقل المنفلوطي معه إليها للعمل نفسه .

ولما تمنح مصر الدستور ويكون لها برلمان ، يختاره سعد زغلول لسكرتارية البرلمان في عام ١٩٢٣ م لكنه بعد فترة قصيرة يلبي نداء ربه في عام ١٩٢٤ ويرثيه أحمد شوقي بقصيدة يقول فيها :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك في عصف الرياح الناعي

سرْ في لواء العبقرية وانتظم شتى المواهب فيه والإبداع

واصعد سماء الذكر من أسبابها واظهر بفضل كالنهار مذاع

وعلى الجملة لم تكن حياة المنفلوطي حياة هينة ، إذ كان يشقى في سبيل الحصول على ما يقيم أوده ، كما عرف مرارة السجون فقد مظم حين كان طالبا في الأزهر قصيدة في هجاء عباس ، فحكم عليه بالسجن . لعل هذه العوامل والظروف والبؤس الذي كانت مصر تعيشه في زمن الاحتلال الانكليزي جعلت شخصية المنفلوطي يطغى عليها الحزن ، وهو ما أعانه على كتابة أدب حزين يحفل بالبؤساء والمظلومين . ويستدر الدموع من أجلهم .

والمنفلوطي في الوقت الذي أجاد فيه العربية وملك زمامها ، لم يتعلم أية لغة أجنبية لكنه عكف على المترجمات يقرأ فيها ويحاول أن يوسع ثقافته فيها .

نثره :

تكمن أهمية المنفلوطي في تاريخ النثر العربي الحديث في ناحيتين :

أما الناحية الأولى فتتمثل في تأليف نوع خاص من القصص ليست هي مترجمة ولا مؤلفة ، بل مزيج من الاثنين .

كان المنفلوطي يأتي الى الآثار القصصية المترجمة ، أو يطلب إلى أصدقائه أن يترجموا له قصصا ، فيكتبها بأسلوب أدبي مصفى ، ويغير فيها تغييرات واسعة ويملؤها بدروس ومواعظ أخلاقية مختلفة .

فالمنفلوطي كان يخلق القصة خلقا جديدا ، يتلاءم مع ذوق القراء في عصره ، فقد كان هذا الذوق يعجب بالاغراق بالعاطفة والنظرة بالأسلوب لا بوصفه وسيلة للتعبير عما يشعر به الكاتب لكن بوصفه وسيلة لاضفاء الرونق والبهاء والزينة على ما يكتبه .

والاغراق العاطفي في قصص المنفلوطي يتجه إما إلى تصوير الحب العذري الطاهر الذي يبلغ في طهارته درجة كبرى أو يغرق في الحديث عن الاحساس الوطني ، أو عن الضعفاء واليائسين والفقراء ولا سيما من النساء والأطفال . وهو لا يقدم في كل ذلك تحليلا عميقا ولا منطقيا للمشاعر ، وإنما يحاول دفع القارئ في أسلوب تقريري خطابي إلى الحماس العاطفي لما يتحمس له .

والأسلوب الذي صيغت به هذه القصص يعتمد أساسا على التكرار والترادف والتقسيم الموسيقي للجمل والسجع والاستشهاد . ولعل هذا سبب مهم من أسباب إقبال جماهير القراء على قراءة هذه القصص والتعلق بها . والقصص هي (الفضيلة) وأصلها قصة (بول وفرجيني) لبرناردين دي سان بيير . و (ماجدولين) أو (تحت ظلال الزيزفون) لإلفونس كار . والشاعر (لادمون روستاف) . و (في سبيل التاج) وأصلها مسرحية لفرنسوا كوبيه . وقصص صغيرة أخرى ضمنها كتابه (العبرات) .

وأما الناحية الثانية فتتمثل في مقالاته التي يضمها كتابه المعروف النظرات . وهي مقالات نشرت في جريدة المؤيد تناول فيها المنفلوطي بعض الجوانب الاجتماعية بالنقد . وشخص فيها جملة من المساوئ الاجتماعية التي

استجدت في المجتمع خاصة بعد الاحتكاك بالحضارة الأوربية وعني فيها بالأسلوب وأداء المعاني أداءً فنيا بديعا ، فاهتم باختيار ألفاظه وانتخابها ، ووفر لها ضروبا من الموسيقى بحيث تسيغها الأذان وتقبل عليها .

ان المنفلوطي في (النظرات) كاتب اجتماعي قدير يدعو إلى الفضيلة والمثل السامية بأسلوب الأديب البارع والمصلح الحكيم .

وعلى العموم يقف المنفلوطي صاحب مذهب خاص في النثر العربي الحديث ودرسة في الأدب الحزين المظلم المنطوي على صورة البؤس والحزن والحرمان . ومذهبه هو مذهب الأدب الانشائي الذي يعنى عناية كبيرة بالأسلوب ، ولا يهمل في الوقت ذاته جانب المضمون .

يقول المنفلوطي في مقالة تحت عنوان (اللفظ والمعنى) :

(لم أرَ فيما رأيت من الآراء في قديم الأدب وحديثه أغلب من رأي أولئك الذين يفرقون في أحكامهم بين اللفظ والمعنى ويصفون كل منهما بصفة تختلف عن صفة الآخر ، فيقولون : ما أجمل أسلوب هذه القصة لولا ان معانيها ساقطة مرذولة : أو ما أبدع هذه القطعة لولا أن أسلوبها قبيح مضطرب : كأنما يخيل إليهم أن اللفظ وعاء ، وأن المعنى سائل من السوائل يملأ ذلك الوعاء ، فتارة يكون خمرا وتارة يكون خلا ويكون حينا صافيا وأخرى كدرا ، الوعاء باق على صورته ، لا يتغير وما علموا أنهما متحدان ممتزجان امتزاج الشمس بشعاعها والخمر بنشوتها ، فكما لا يجوز أن نقول ما أجمل الشمس وأقبح شعاعها ، ولا ما أعذب الخمرة وأمرّ نشوتها ، كذلك لا يجوز ان يصف اللفظ بالجمال والمعنى بالقبح أو نعكس ذلك . فليعلم الناشئ المتأدب أنه ليس للفظ كيان مستقل ولا حيّز خاص فجماله جمال معناه وقبحه قبحه ...) .

مزج المنفلوطي من الأسلوب التقليدي فأدخل إلى الأدب المعاني والصور بعد ان كان الزخرف هو كل شيء وهو بذلك يعد محلة بين المويلحي من ناحية والزيات والرافعي من ناحية أخرى .

من مقالات المنفلوطي التي يتجلى فيها خصائص أسلوبه وتفكيره مقالة عنوانها (الناشئ الصغير) يقول فيها :

(لي ولد وحيد في السابعة من عمره لا أستطيع على حبي إياه وافتناني به أن اتركه بعدي غنيا لأني فقير وما أنا بآسف على ذلك ولا مبتئس لأني أرجو بفضل الله وعونه ورحمته وإحسانه أن أترك له ثروة من العقل والأدب هي عندي خير ألف مرة من ثروة الفضة والذهب .

أحب أن ينشأ معتمدا على نفسه في تحصيل رزقه وتكوين حياته ، لا على أي شيء آخر ، حتى على الثروة التي يتركها له أبوه . ومن نشأ هذا المنشأ وألف ألا يأكل إلا من الخبز الذي يصنعه بيده ، نشأ عزوفا عيوفا مترفعا . لا يتطلع إلى ما في يد غيره ولا يستعذب طعم الصدقة والإحسان .

أحب أن ينشأ رجلا ولا سبيل إلى الرجولة إلا من ناحية العمل وقلما يعمل العامل إلا من الضرورة ودافع من الحاجة وفرق بين الغني الذي يعمل لتنمية ثروته وتعظيم شأنها شرها وفضولا وبين الفقير الذي يعمل لتحصيل قوته وتقويم أود حياته .

أحب أن يعيش فردا من أفراد هذا المجتمع الهائل المعترك في ميدان الحياة ، يصارع العيش ويغالبه ويزاحم العاملين بمنكبيه ويفكر ويتروى ويجرب ويختبر ويقارن الأمور بأشباهها ونظائرها ويستنتج نتائج الأشياء من مقدمتها ويعثر مرة وينهض أخرى ، ويخطئ حينا ويصيب أحيانا فمن لا يخطئ لا يصيب ومن لا يعثر لا ينهض حتى تستقيم له شؤون حياته .

ذلك خير له من أن يجلس على شرفة من شرف قصره مطلا على العاملين والمجاهدين . يمتع نظره بمرآهم كأنما يشاهدوا رواية تمثيلية في أحد ملاعب التمثيل .

أحب أن يمر بجميع الطبقات ويخاطب جميع الناس ويذوق مرارة العيش وشاهد بعينيه بؤس البؤساء وشقاء الأشقياء ويسمع بأذنيه أنات المتعلمين وزفرات المتوجعين ليشكر الله على نعمته إن كان خيرا منهم ويشاركهم في همومهم وآلامهم إن كان حظه في الحياة مثل حظهم لتنمو في نفسه عاطفة الرفقة والرحمة يعطف على الفقير ، عطف الأخ على الأخ ويرحم المسكين رحمة الحميم للحميم .

يتجلى هنا العناية بالأسلوب والتفنن فيه كالتكرار والأفكار الاجتماعية والتربوية والدعوة إلى المثل السامية .